



خطاب صاحب الجلالة بمناسبة الذكرى الثالثة والأربعين لمولد جلالته

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله

شعبي العزيز

ألفنا أن نلتقي في هذا اليوم من كل سنة لنحتفل جميعاً بعيد الشباب الذي يصادف ذكرى ميلادي، وقد أبيت شعبي العزيز وأنى والذي المرحوم محمد الخامس ألا أن يجعل الاحتفال بعيد ميلادي والاحتفال بعيد الشباب عيدين مقرونين حتى يعطي لشباب هذه الأمة — الذي ليس شباباً موقوفاً على جيل ولكن يجب أن يبقى شباباً مستمراً مدى العصور والأعوام والسنين والشهور — ليعطي لهذا الشباب المغربي فرصة يحاسب فيها نفسه ويتذكر مع نفسه وينظر إلى مشاكله وحتى يمكنه كذلك أن يحلل طموحه وعناصر مستقبله.

شعبي العزيز

مراراً تجاذبنا أطراف الحديث، ومراراً خاطبتك في ميادين شتى وفي مواضيع مختلفة، وإذا لاحظت كنت دائماً أؤكد أكثر ما أؤكد على ناحية التنمية والتكوين، حتى يمكن لهذا المغرب ولهذا الشعب ولأبنائنا أن يعيشوا في مأمن من الخوف والجوع والجهل والتخلف، ولكن اليوم أبيت إلا أن أتطرق إلى موضوع آخر يمتُّ إلى التنمية الاقتصادية بصلة وثيقة وقرينة، ألا وهو التنمية الخلقية والأخلاقية، وموضوع التربية والتكوين والديانة والمواطنة، وحتى يمكنني أن أنفذ إلى مفاهيم جميع الناس وإلى قلوب جميع الآباء والأمهات وإلى أذهان جميع الشبان سأرغم نفسي على التحدث إليك بالعربية الدارجة وإن كانت العربية الدارجة الحققة أصعب في نظري من العربية الفصحى.

لا يخفى عليك شعبي العزيز أن كل أمة وكل دولة زيادة على إطارها الدستوري ونظامها الاجتماعي والسياسي الذي تعيش فيه تكون قد اختارت بكيفية نهائية الأساس الخلقي والديني الذي ستعيش بمقتضاه، وتضع لذلك حدوداً وقواعد من الضروري أن يراعها كل مواطن سواء كان أباً أو أمّاً، حتى يمكن للأبناء والأجيال المقبلة أن تعيش بعمود فقري، ذلك أن الأخلاق والمذاهب والديانة هي بمثابة العمود الفقري للجسد وما بقي ليس إلا أعضاء مثل الذراعين أو الرجلين أو الكتفين، فلا يمكن للإنسان أن يفكر في مجتمع لا قانون. خلقي إنساني له، وإذا أردنا حقيقة أن نتمتع في البيئة المغربية نجدها لا إحراج فيها ولا وجود لذلك النوع من الارغام الذي يجعل الديانة مكروهة أو مذاهب منبوذة، بالعكس إذا كانت بعض الديانات الأخرى وثنية أو سماوية قد تحرفت واستعملت لاستعباد الناس فالديانة الإسلامية جاءت في الحقيقة بالتححرر ولتحرير الناس، فهي مطابقة تماماً لما في القرن العشرين، ومطابقة تماماً لفلسفة النقد الذاتي والنقد المطلق، ولا تستعبد الناس، وإنما جاءت لتكرم بني آدم، وجاءت قبل كل شيء لتحافظ على حقوق الجماعات قبل أن تحافظ على حقوق الأفراد، ذلك أن في جميع قوانينها للتعامل والمعاملات دائماً تعطي الأسبقية للمحافظة على المصلحة العامة قبل المصلحة الخاصة، ودائماً تعطي الأسبقية أيضاً لدرء المفسدة على جلب المصلحة، فإذا كنا نرى أن بعض الأجيال في بلاد نامية أو في طريق النمو تنتقد كل شيء وساخطة على كل شيء يمكن لنا أن نلتمس لها الأعذار، لأنه ربما في دياناتها أو في مذاهبها ما من شأنه أن يضيق رقعة الحرية الخاصة ويكبت المطامح ويطلب إلى الناس احترام سلم اجتماعي، أما الديانة الإسلامية فلم تأت بهذا، وإنما الديانة الإسلامية بالعكس نحن الذين فرضنا على



المكلفين بلوغ إحدى وعشرين عاماً، أما الديانة الإسلامية فهي كرمت بني آدم وجعلت المكلف من وصل سن البلوغ، وأنت تعلم شعبي العزيز أن سن البلوغ عند الرجال يكون أحياناً لدى الوصول إلى سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة، فإذا الديانة الإسلامية جعلت منك أيها المواطن المسلم مسؤولاً قبل السن المعترف به في جميع الدنيا، وتعطيك حق خوض معركة المسؤولية العامة في أي وقت كان، والمهم أن تكون مكلفاً، فمهما كلفت شرعاً يمكنك أن تصل بالناس كما يمكنك إذا كنت عالماً أو مثقفاً أن تكون قاضياً بين الناس، وأن تنحر وتحلل الأضحية بيدك مما يعتبر مسؤوليات عامة، وأكثر من هذا فإن الديانة الإسلامية تجعلك من أول وهلة مكلفاً قادراً على أن تكون عضواً كاملاً متكاملًا مع الأعضاء الأخرى في المجتمع الإسلامي، فلماذا يا ترى نرى أن شبابتنا يهرب من كل ما هو ديني؟ ويتنكر لماضيهِ ولأسرته ومجتمعه؟ حاولت تحليل الموضوع، فوجدت أن المسؤولية ملقاة على ثلاثة ميادين.

الميدان الأول: البيت والأسرة.

الميدان الثاني: المدرسة والأستاذ وبرامج التعليم.

الميدان الثالث: الشارع والملاهي الغير المحمودة.

أما في البيوتات فنجد نوعين منها: إما بيت مثر وإما بيت فقير، ونلاحظ أن أبناء الفقراء وأبناء الأغنياء يكبرون متنكرين للبيئة التي يعيشون فيها.

أبناء الأثرياء يأخذون على آباءهم وأمهاتهم في غالب الأحيان أنهم لا يؤدون فريضة الصلاة، والقليل منهم يرون أقاربهم يصومون ويحتفلون بأعيادهم الدينية وهم يحتفلون بعيد ميلاد المسيح أي برأس السنة الميلادية في حين أنهم لا يحتفلون بعيد المولد النبوي ولا بعيد الأضحى، ويأخذ هؤلاء الأبناء على أقاربهم أنهم لم يبيتوا ليلة واحدة يتضورون جوعاً ولا لبسوا ثياباً رثة بالية ولا ذاقوا قسوة البرد، وحينما تلتقي هذه التربية، تربية الدلال (الفشوش) مع عدم تدين الآباء بكر الأولاد ناقمين على هذه البيئة التي جعلتهم في مأمن من الجوع والبرد، ويأخذون عليها أنها جعلتهم في هذا المأمن.

والطبقة الثانية في البيت نجد بيوتات متواضعة جداً: الأم تصلي وتصوم والأب كذلك، ولكن الحالة التي يعيشون فيها والمسكن والبيئة والدار الضيقة التي تكون غالباً في ملك غيرهم تجعل من ابنهم رغم اطمئنان نفسه من الناحية الروحية يتطلع إلى يوم التخلص من ذلك العش والمجتمع وتلك البيئة، حيث تربي، ويريد أن يغير ويقلب رأساً على عقب حياته التي تربي فيها رغم أنها كانت متذينة نائمة على الفقر والجوع وعلى عدم السكن في بيت يلازمه ويتمشى مع مستواه ويصبح نائراً على مجتمعه وعلى دينه، وحتى إذا حاولنا أن نعيده إلى طريق الصواب نجد أن البرامج الابتدائية والثانوية وحتى العليا تهمل ناحية الأخلاق هذه وكذا الناحية الدينية،

فمثلاً نستمع إلى محفوظات تقرأ ما هي إلا محفوظات لائكية، ولا يوجد شاب مغربي الآن يمكن أن يحفظ في ذاكرته ولو خمسة أبيات شعرية من البردة بينما بإمكانه أن يحفظ خمسة أو عشرة أبيات للسموأل أو من المعلقات في حين خير ما يجب الابتداء به أن يحفظ الإنسان بعض ما جاء في مدح النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو أبو هذه الأسرة الإسلامية، أما إذا وصلنا إلى مرحلة التعليم الثانوي والعالي حيث من المفروض أن نعرف بالمفكرين فإننا لا نعرف بهم ونجد الشاب يدرس فلسفة كانط ولا يبرز وسينسر وهيوم وآخرين ويترك جميع فلاسفتنا الحقيقيين.



أين ابن رشد والغزالي وأبو حيان التوحيدي ؟ هؤلاء الكتاب والمفكرون نجد أنهم غير معروفين، وجميع الأفكار كما نعتقد تأتي من طريق الغرب، فالأفكار كلها والتفكير لا يمكن التعبير عنه إلا بلغة أجنبية، كأن الفلسفة والمذاهب ما هي إلا وليدة للغة أجنبية، وفي الحقيقة نحن نحفر قبورنا وقبور اللغة العربية والمدنية الإسلامية بأيدينا، والحالة هذه أن المغرب كان ولا يزال وسوف يظل إن شاء الله الساهر على التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية كما كان طيلة القرون والعصور.

وحتى لو فقدنا هذين الميدانين نرى الميدان الثالث وهو الشارع ماذا نجد فيه ؟ نجد نوعاً من الاستهتار واللامبالاة والمس بالكرامة العامة، ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من ابتلى منكم بمثل هذه القاذورات فليستتر، ولم يقل صلى الله عليه وسلم فليمسك، لم يقل فليعاقب، بل قال فليستتر، علماً منه صلى الله عليه وسلم بأن البشر معرض للخطأ والغلط.

وكما تعلمون فإننا كنا في وقت ما نخرج إلى الشارع، وكنا طلبة آنذاك، ونشاهد إخواننا المسلمين في المقاهي وأمامهم كؤوس من القهوة، وعصير الفواكه، أما اليوم فإن الخمر تشرب علناً، وهكذا نرى أننا نحن لم نرب أبناءنا على احترام قوانين الأخلاق الإسلامية، بل هناك من يرى والده في الشارع يتعاطى المحرمات. فحقيقة كيف يمكننا نحن الآباء والمربين أن نقف أمام الله سبحانه وتعالى في الآجل وأمام ضمايرنا في العاجل ونقول إننا أدينا واجبنا، والحالة أننا لا نعطي للشباب المغربي ولأبنائنا أية ضمانات ليرتّبوا تربية إسلامية حقيقية.

ولا يهمنا وراء هذا كله ناحية النسك والعبادة، ولكن قبل كل شيء ناحية المعاملة، وطهارة الضمير، واستقامة الروح، فلا يمكن أن يعقل أن نترك شبابنا تتلاطم به الأمواج من الأفكار الهدامة والأفكار اللادينية، أفكار كلها تخريب وشغب، كيف يعقل أن نترك أبناءنا يرون شخصاً يقوم باختطاف طائرة مقابل 400 أو 500 ألف دولار ويشاهدون أفلاماً مهدامة للأخلاق ومغربة للبيوت ثم ينقى مكتوفي الأيدي سواء في البيت أو الشارع لمواجهة ذلك ؟

كيف يمكن أن نربي أبناءنا على الإيمان بالفكرة والعقيدة إذا لم تتوفر فينا نحن الآباء والأمهات والمربين والأساتذة عزيمة قوية على بعث إسلام جديد، لا أقول ذلك الإسلام المتزمت، ذلك الإسلام الذي لا يعد الإنسان إلا بالنار أو الجنة، إنه إسلام المعتزلة الذي يدعى أن فاعل الخير مصيره الجنة وفاعل الشر مصيره جهنم.

يجب أن نعمل بالإسلام الحقيقي الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم والقائل : لن يدخل الجنة أحدكم بعمله، قيل ولا أنت يا رسول الله، قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته.

وإذا كنا نعلم أن رحمة الله سبقت غضبه وأنه سبحانه وتعالى يلهم الخلق حتى يرجعوا إلى الطريق السوي وإذا كنا نعلم أن الإسلام دين الجماعة وليس دين الفرد، وأن الإسلام قبل كل شيء مبني على التعامل النقي الطاهر في سبيل فلسفة وغزو ومعركة، فلي اليقين أننا سنجعل من سنتنا المقبلة سنة بعث إسلامي.

وأنا أشعر أن كلامي هذا سيجد الصدى الحسن في قلب وذهن كل مغربي، لأنني أشعر وحاستي السادسة تشعر بأن جميع الناس في حاجة إلى بعث إسلامي وتجديد إسلامي وحركة إسلامية.



فالإسلام جاء لتوسيع حقوق الناس لا لتضييقها، وكل شيء مضر بحقوق الآخر هو مضر بالمجتمع، وكما قلت لكم فالإسلام لا بد أن يفهم على حقيقته، فالإسلام يترك الباب مفتوحاً على مصراعيه شريطة أن لا تضر بأخيك، هو أن الإنسان لا يتبرج تبرج الجاهلية ليعمل نفس الأعمال التي يقوم بها أمام الناس وتحديداً للناس، أما من ابتلي منا بقاذورات فليستتر، ولم يقل صلى الله عليه وسلم فليمسك، وإذا أردنا في الحقيقة أن نجعل من الناشئة الطالعة ناشئة قادرة على تسيير معاملنا واستثمار سدودنا سنة 2000 لا بد أن نعبد النظر ونفكر تفكيراً مطابقاً لسنة وسائل التربية في بيوتنا، وأعتقد شخصياً أنه في استطاعة الإنسان أن يربي ابنه تربية حسنة، ويعوده على تقبيل يده في الصباح والمساء اعترافاً لوالده بما له عليه من فضل في تربيته وتعليمه وإعائته، وهل من الضروري أن يتحدث الأب مع ابنه وابنته بلغة أجنبية عوض اللغة العربية؟ لأنه توجد هناك عدة أسر مغربية أصيلة لا يتحدث أبناءها باللغة العربية، هل من الضروري أن الأولاد والبنات لا يرتدون يوم الجمعة الزي التقليدي ولا يذهبون مع آبائهم إلى المساجد لأداء الصلاة وأن تشاهد البنات أمها في البيت تؤدي الصلاة بجانبها؟ اللهم إلا إذا قررنا أن نعيش كأولئك المنافقين تعبيراً أوربي تفكيرنا ليس مغربياً ولا إسلامياً، لباسنا ناقص وأخيراً يوم نتزوج ونلد، نلد خليطاً لا يمكن أن يعيش في مجتمع منظم، لا يمكن أن يعيش إلا في مجتمع فوضوي.

وإذا سرنا على هذا السؤال فإننا في الحقيقة نخلق هذا المجتمع الفوضوي لأننا نخلق أناساً سيكونون هذا المجتمع الفوضوي.

علينا أن نراجع تربيتنا في بيوتنا، علينا أن نراجع البرامج والمناهج التعليمية في المدارس، علينا أن نفتح ملاعب للشبان ودوراً للثقافة وخزانات للكتب، ونعرض عليهم الأفلام ونساعدهم على ملء أوقات فراغهم لضمان نجاح تربيتهم، وإذا بقي الطرف الثالث وهو الفراغ علينا أن نملأه بكيفية ما حتى إذا لم ننجح في كل شيء فإننا سننجح في تربية صالحة للناشئة، وهذه مسؤولية تقع على عاتقنا، فلماذا يجب أن نربي ونطعم، فإذا قمنا بذلك نكون قد خلقنا ناشئة سليمة ومكرمة من الناحية المادية والروحية، وإذا ذاك فإن تلك الناشئة ستقصد بنفسها المسجد، لأن التربية الإسلامية هي التي ستجلبها لذلك.

فلنجعل إذن شعبي العزيز من السنة المقبلة سنة تهذيب وتربية وبعث إسلامي بالمعنى الصحيح وبالفلسفة الإسلامية الصحيحة، ليست تلك الفلسفة المتمزقة بل الفلسفة المتفتحة الواعية لضرورة الوقت، والمطابقة لكل ضرورياتنا.

فأمل في الله سبحانه وتعالى أن يعيننا في هذا الطريق، وسوف يعيننا، واننا لندعوه سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المتفيعين ظلّه ومن الراعين أمانته، ومن الذين لا يقفون وقفة ولا يتحركون حركة إلا في سبيل الله في سبيل إعلاء كلمته وتوطيد دينه وسنة رسوله.

ونطلب من الله سبحانه وتعالى أن يزيد تلك العروة التي هي موجودة بيننا وبينك شعبي العزيز متانة وصلابة، حتى يمكننا أن نغزو الأفكار كما سبق لنا أن غزونا الأحداث، وأن نترك للمغرب الجديد تنمية اقتصادية، وتجديداً دينياً وفلسفياً ومجتمعاً تقنياً نقياً طاهراً.

والسلام عليكم ورحمة الله.

السبت 26 جمادى الأولى 1392 — 8 يوليوز 1972